موشيه منوحن يروي بعض ذكرياته

فيما يلي ترجمة شبه حرفية لجزء كبير من حديث ادلى به موشيه منوحن ، الكاتب اليهودي المعادي للصهيونية ، عن قصة حياته ، وقد ضمنه ذكرياته عن هجرته الى فلسطين في ١٩٠٤ بعد المذابح التي حصلت في روسية القيصرية والتي حملت يهودا كثيرين على الهجرة الى فلسطين . وقد خص الكاتب شؤون فلسطينية بالترجمة العربية لهذا الحديث الذي ستتولى اذاعات الدول العربية بثه باللغة الانكليزية في برامج موجهة للارض المحتلة .

أصطحبتني أمي في رحلة الذهاب الى فلسطين لتودعني في رعاية جدي ، وقد كنت ثالث طفل في العائلة يبعث به الى فلسطين القديمة ، الى القدس الشريف ، لينشأ هناك ويترعرع . كان ذلك في العام ١٩٠٤ ، في اواخر فترة المذابح ضد اليهود . (ما أغرب توارد سيل الافكار) ، اذ ما زلت اذكر اسم الباخرة الروسية — الكورنيلوس — التي كانت تبحر ما بين مينائي أوديسا ويافا عبر المياه التركية الى ان رست اخيرا في يافا ، ومن هناك الى بيت جدي في القدس ، وهو يهودي ملتزم بأصول الديانة وافر العطف والورع والامانة وشديد الحب للناس. وكان يؤمن بتعاليم الديانة اليهودية التقليدية ، كما كان يغمر قلبه ويعمر روحه ايمان فياض بأن يسود السلام وتعم المحبة جميع البشر ، فيحب المرء اخوته في الانسانية ، الواحد منهم قدر الاخر . وكم كانت ديانته اليهودية التقليدية تختلف عما يدعى ديانة يهودية تقليدية وعن من ينتسبون اليها ، على النحو الذي يعظون به هذه الديانة ويمارسونها ، هذه الايام ، في اسرائيل الصهيونية وفي اميركا على حد سواء . فقد كان يؤمن حقا بالتعاليم الاخلاقية الغابرة « أحب اخاك الانسان كما تحب نفسك » ، « لا تقتل! »، « لا تسرق ! »، « لا تشتهي ما لغيرك » ، « لا تفعل بغيرك ما لا تحب ان يفعلوا بك » . وكذلك كان جدي ، وهو يتراءى الان امام ناظري ، يطيل الوقوف عند فكرة التوبة فيتلو على مسامعي تعاليم الديانة اليهودية ومثلها كما عرفها : المكانة التي تحتلها التوبة لا يبلغها حتى أتقى البشر واعدلهم . واني ما زلت أذكر بغبطة — وكنت يومها طفلا ، اذ كان عمري احدى عشرة سنة يوم ان التحقت برعاية جدي — ما زلت اذكر الايام السابقة لـ « يوم كيبور » اي « يوم الكفارة » ، حيث كان يتفقد اصدقاءه الواحد بعد الاخر ، ويمر على جيرانه الواحد تلو الاخر ، هؤلاء الاصدقاء والجيران الذين يظن انه ربما اساء اليهم ، بصورة او بأخرى ، خلال السنة ، فيطلب منهم الصفح عنه للخطايا التي ارتكبها بحقهم لعل الله تعالى يغفرها له. واذكر حتى ان جدي العجوز العزيز سألني الصفح اذ قال « ان اسأت لك في معاملتي سهوا عني فأرجو ان تسامحني » . فقد كنت وجدي صديقين حميمين . وقد أثر بي هذا الانسان المسن التقي اعمق تأثير ، وكان له حتى اليوم اعظم تأثير في حياتي رغم انني لست يهوديا تقليديا — فأنا بعيد عن ذلك غاية البعد — اذ أؤمن فقط بيهودية الانبياء أي التعاليم التي بشر بها انبياء اليهودية فقط وليس مواعظ وارشادات الحواريين والاتباع . وبقدر ما يخصني الامر ، بوسعك ان تحرق ما اضافه الحواريون والاتباع والحكماء الى الديانة وهو يدعى في العبرية «شلحان أروح » اذ لم يبق فيه الا القليل من التعاليم الاخلاقية الحقة ليتقيد بها المرء . فقد طرأت على اليهودية تطورات وتحورات انبل ، وحلت محل هذه الاضافات كمعيار لسلوك اليهودي .

كصبي في ذلك الحين ، بحثت عن اقراني الصبيان، وكنت اشعر بالضيق احيانا لانني كنت ارتدي القفطان ، وهو رداء طويل ، وكان صبيان المستعمرة ، الذين كانوا اكثر « تحضرا » مني